شبهة وجود الضعف عند المسلمين والجواب عنها

سأل أحد الخوريين (اسمه حَـنا) من الباحثين عن الحق سؤالاً فقال:
لماذا تعيش أغلب الدول التي تتخذ من الديانة المسيحية دينا لها في رفاهية غير متناهية وسعادة كبيرة ورغد في العيش، وتجد في الاتجاه المقابل أن الدول التي تتخذ ديانة الإسلام دينا توجد فيها الصراعات والحروب والفقر والقتل وكل الصور المؤسفة القاسية جدا؟

***

والجواب على هذا السؤال من ثمانية وجوه:

الوجه الأول: أن المسلمين كانوا هم أهل التقدم لما كانوا متمسكين بالإسلام، وحضارتهم المتبقية في أسبانيا (الأندلس سابقا) تدل على ذلك، وكذلك في مكة والمدينة والعراق والشام، وقد كان الغربيون يرسلون أبناءهم للدراسة في الأندلس، فقد شكَّلت الأندلس منارةً للعلم والازدهار في أوروبا، في حين كانت باقي القارَّة تقبع في الجهل والتخلُّف، وأصبحت مدينة قُرطُبة إحدى أكبر وأهم مُدن العالم، ومركزًا حضاريًا وثقافيًا بارزًا في أوروبا وحوض البحر المُتوسِّط والعالم الإسلامي، مُنافسةً بغداد عاصمة الدولة العبَّاسيَّة والقُسطنطينيَّة عاصمة الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة. وقد ساهم العُلماء الأندلُسيّون بتقدُّم مُختلف أنواع العُلوم، ومن هؤلاء على سبيل المِثال :جابر بن أفلح في علم المُثلثات، وإبراهيم بن يحيى الزرقالي في علم الفلك، وأبو القاسم الزهراوي في الجراحة، وابن زُهر في الصيدلة، وغيرهم

ولما ضعُف تمسك المسلمين هناك بدينهم سقطت الأندلس بأيدي الغربيين وانهارت حضارة المسلمين هناك، وكان هذا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، فأخَـذَ الغربيون حضارة الأندلس وطوَّروها، فوصلوا إلى ما وصلوا إليه،
ولكن الآن بحمد الله هناك يقظة ورجوع للدين الإسلامي في أنحاء العالم، في أوساط الشباب والشابات والرجال والنساء، فإذا استمر الوضع على ذلك فسيجعل الله الغلبة للمسلمين كما قال تعالى وهو أصدق من وعد ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.
فالسبب هو بُعد المسلمين عن دينهم، وجهلهم الناتج عن عدم معرفتهم باللغة العربية أو قلة العلماء بينهم، ولو أنهم رجعوا لدينهم، وأخلصوا دينهم لله، وحققوا التوحيد، وتمسكوا بِسُـنَّـة نبيهم صلى الله عليه وسلم؛ لسادوا العالم، كما ساد أسلافهم من قبل.

وفي دولة المملكة العربية السعودية نعيش عيشا رغيدا بسبب تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية، فلو أن الدول الأخرى فعلت ذلك لرأيتَ الخير من كل مكان.

فأين الضعف وميزانية دولة المملكة العربية السعودية – التي تطبّق الإسلام – لسنة ٢٠١٣ هي ٢ ترليون ريال أي ما يعادل أكثر من نصف ترليون دولار.

كذلك فإن شبكة الطرق والمواصلات والهواتف متوفرة في أنحاء المملكة، التجارة والصناعة تقفز كل يوم إلى الأمام، الاستثمار الزراعي موجود في المناطق الزراعية، والمملكة تُصدِّر ثلث نفط العالم، وتتسابق الدول الغربية للاستثمار فيها.

فهل يصحّ بعد هذا أن يُقال إن الدولة السعودية —كأنموذج للمسلمين – ضعيفة؟

إن الدولة السعودية تم إعلان قيامها عام ١٩٣٢ (أي قبل نحو ٨٠ سنة)، وفيها أعلن مؤسسها (الملك عبد العزيز آل سعود) أن دستور الدولة هو الإسلام، وبعد إعلان قيامها **بسنتين فقط تم اكتشاف النفط**.

فهل هناك بركة من تطبيق الإسلام **أعظم وأسرع** من هذه البركة؟

أترك الإجابة للقارئ الكريم.

الوجه الثاني: أن النصارى تسلطوا على المسلمين فيما يسمى بالحروب الصليبية، وذلك في مجموعة من الحملات والحروب التي قام بها أوروبيون من أواخر القرن الحادي عشر حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الميلادي(1096 – 1291) ، وسببوا لهم خسائر مادية وبشرية، والتي انعكست على النمو الحضاري بطبيعة الحال.

يضاف إلى ذلك أنه في فترة الاستعمار احتلت فرنسا الجزائر والمغرب عقودا من الزمن، وصادرت ثروتها.

وإيطاليا احتلت تونس والحبشة عقودا من الزمن.

وبريطانيا احتلت العراق ودول الخليج.

واليهود احتلوا فلسطين منذ عام ١٩٤٨ بمساندة بريطانيا ثم أمريكا.

فكل هذا الظلم والاضطهاد والإرهاب، ومصادرة الثروات والموارد البشرية، تسبب في تأخر المسلمين عن غيرهم في الميدان الحضاري.

والعالم الإسلامي لا زال يعاني من المؤامرات التي يحيكها الغربيون ضدهم، خوفا من يقظة المسلمين وعودة حضارتهم، وما يحدث الآن من مؤامرات غربية لتدمير العراق والشام وليبيا وغيرها لهو أكبر دليل على ذلك، فلم يتوقف الأمر على الحروب الصليبية التي تقدم ذكرها ولا حقبة الاستعمار، فما يحدث اليوم أشد وأنكى، والعجيب أنهم مع هذا يتهمون المسلمين بالإرهاب!

الوجه الثالث: أن هذه الابتلاءات التي تصيب المسلمين تكون لهم كفارة من الذنوب والمعاصي، بينما الكفار تزيدهم إثما ورجسا.

وتوضيح ذلك أيضا أن هذا الشر الذي قدَّره الله على المسلمين قد يكون خيرا من جهة أخرى، قال الله تعالى عن الفساد الذي يظهر في البر والبحر من زلازل وفيضانات ونحوها ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا **لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾، أي: يرجعون إلى التمسك بتعاليم دينهم، فعلى هذا فالنتيجة طيبة، وهي أن يذيقهم عقوبة معاصيهم **فيرجعوا إلى الله ويتوبوا** قبل أن يموتوا، فصار الشر في هذا الذي قدَّره الله عليهم ليس شرا حقيقيا محضا، لأن نتيجته صارت خيرا.

ومما يحصل أيضا من الشر على المسلمين: المرض، فلا شك أنه شرٌّ بالنسبة للإنسان، لَكِنَّ فِيهِ خيرًا له في الواقع، فقد يكون على المسلم ذنوب، فتأتي هذه العقوبات لتكفر تلك الذنوب.

ومن خير ذلك المرض أيضا أن يستشعر الإنسان نعمة الله عليه لما كان صحيحا.

ومن خير ذلك المرض أنه يكون فيه أشياء تقتل جراثيم في البدن لا يقتلها إلا ذاك المرض، بينما المريض لا يدري.

فالمقادير الكونية التي يُقدِّرها الله على المسلمين فيها خير كثير لهم في الدنيا والآخرة، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم هذا في قوله: عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَه.[1]

بينما الكافر الذي ردَّ شريعة الله يُمتِّعه الله في الدنيا، ثم في الآخرة يأخذه أخذ عزيز مقتدر، قال الله تعالى ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تقلُّب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾، وقال الله تعالى ﴿ولا يحسبنّ الذين كفروا أنما نُملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا **إثما ولهم عذاب مهين**﴾، وقال الله تعالى ﴿أيحسبون أنما نُمِدُّهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات **بل لا يشعرون**﴾.

فالعبرة بالنهايات وليس بالبدايات.

---

[1] رواه مسلم (٢٩٩٩) عن صهيب رضي الله عنه.

الوجه الرابع: أننا نرى هذه الزلازل والفيضانات والأعاصير والأمراض الفتاكة وغلاء المعيشة تحل في **البلاد الإسلامية وغير الإسلامية** على حد سواء.

الوجه الخامس: لا شك أن التطور في الدول الغربية والأنظمة أفضل بكثير مما هو عليه في عامة دول المسلمين، وهذا في جوانب معينة وليس في كل الجوانب، وسبب تطور الدول الغربية هو التقدم الحضاري الذي اكتسبوه ثم سبقونا في تطبيقه، فمثلا أنظمة المرور والأمن والتعليم عندهم متطورة أكثر مما هي عندنا لأنهم بدؤوا بها قبلنا، وإذا طال العمر بنا فسنلحقهم بإذن الله وربما نتجاوزهم، ومع ذلك فقد قال الله تعالى عن الكُفار: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُون﴾.

الوجه السادس: أن الدول الغربية **متخلفة جدا** في أمور نحن المسلمين متقدمون فيها، ألا وهي القِيم الأخلاقية والدينية، وتوضيح ذلك فإن شرب الخمر مثلا مباح عندهم، مع أن تعاطيه يعتبر من التخلف، لأنه يغطي العقل ويصير صاحبه كالمجنون، ولكنه ممنوع في شريعة الإسلام، وقد قيل:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وأيضا فالمسلمون من أصول دينهم الترابط الاجتماعي وصلة الأقارب، وهذا شبه معدوم في الغرب، وقد وصفهم الله تعالى بِشرّ الأوصاف في هذا الباب، فقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾.

مثال آخر: زواج المِـثْـلِيّـيـنَ يعتبر من التخلف الفاضح في القيم الأخلاقية (وهو زواج الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة)، ولكنه ممنوع في شريعة الإسلام.

مثال آخر: العلاقات بين الجنسين خارج إطار الزوجية، فإنه مباح في الغرب، فالرجل يكون له عدة صديقات، وكذلك المرأة لها عدة أصدقاء، يستمتعون بها، وهي تتقلب بينهم من فراش إلى فراش، وكأنها سلعة للاستئناس، وربما تُستأجر الليلة والليلتين كالسيارة والغرفة الفندقية، فإذا ذهبت أنوثتها تركوها وبحثوا عن غيرها، أليس هذا تخلفا؟

في حين أن الإسلام اعتنى بالمرأة أُمًّا وزوجة وأختا وبنتا، وحفِظ لها شرفها وفراشها وأنوثتها، وجعل للمرأة قيمة ومكانة، بحيث لا يتزوجها من أراد زواجها إلا بضوابط الشرع، وأن يدفع مهرا ليتزوجها، وألا يتزوجها إلا عن طريق أبيها أو ولِـيِّـها، أو من يقوم مقامهم، وبحضور شاهدَين، كل ذلك صيانة لها من أن تكون للاستمتاع العام والتسلية، ولتهيئة السبيل لها لتحقق حلمها بتكوين أسرة هادئة، وتحقيق حياة كريمة.

مثال آخر: لو نظرنا إلى الحضارة اليابانية لوجدنا أنهم يعبدون صنما جمادا يسمونه (بوذا)، فأين الحضارة الروحية؟

ولو نظرنا إلى الحضارة في روسيا لوجدنا أنهم يؤمنون بالإلحاد، أي أن هذا الكون وُجِد صدفة بلا خالق، وهذا من العبث بالعقل.

فخلاصة الكلام أن الدول الغربية فيها حضارة أفضل مما عليه الدول العربية والإسلامية، ولكنها حضارة **مادية** بحتة، أما في جانب الحضارة **الأخلاقية والروحية والعقائدية** فالعكس، فهم في قمة التخلف.

ومصير تلك الأمم هو النار **لمن مات على تلك** الاعتقادات الباطلة التي تُسيء إلى الله جل وعلا، ولم تؤمن بشريعة الإسلام وتنقاد لها، هذا حكم الله في القرآن العزيز.

أما المسلمون الصادقون فاعتقادهم صحيح في الله تعالى، فهم يؤمنون بالله كما أراد الله، ولا يخترعون اعتقادات في الله وفي أنبيائه من عند أنفسهم، ولم يُحَرِّفوا شريعة الله التي أنزلها على رسوله، بل هم يدعون الناس لعبادة الله وحده، ويدعونهم للتمسك بالأخلاق، ويعتبرون أن هذه هي الحضارة الحقيقية، ولهذا تجد أن جرائم الانتحار – مثلا – بينهم قليلة جدا، بل هي نادرة، مقارنة بجرائم الانتحار في الدول المتربعة على عرش الحضارة المادية كأمريكا وبريطانيا، بل إن دولة السويد – التي يتمتع فيها المواطن بأعلى دخل في العالم – فيها أعلى نسبة انتحارات في العالم، فأين الحضارة والتقدم؟ وماذا جلبت لهم هذه الحضارة المادية الخاوية من الاعتقاد الصحيح الذي يجلب الطمأنينة والراحة الحقيقية للنفس؟

الوجه السابع: مما يدل على أن الإسلام فيه تحضر ليس عند الدول الغربية هو إقبال الغربيّين على الدخول إلى الإسلام إقبالا شديدا يثير الدهشة، ومن مختلف المستويات الثقافية، أطباء ومهندسين ومدرّسين وغيرهم، ولو أن عند الغرب ما يكفيهم من الكفاية والتقدم الروحي لاستغنوا به عن اعتناق دين الإسلام.

أقول: والإحصائيات الرسمية المكشوفة تؤكد ذلك، منها:

https://en.wikipedia.org/wiki/Growth_of_religion

وبإمكان القارئ الكريم الدخول إلى الموقع التالي:

http://www.cbn.com/spirituallife/onlinediscipleship/understandingislam/why_are_westerners_converting.aspx

الوجه الثامن: مقولة إن عند الغرب تطوُّرا في المعاملة الإنسانية تذهب أدراج الرياح إذا نظرت إلى نسبة الإدمان على المخدرات، ونسبة الطلاق، وأعداد كبار السن الذي تركهم أبناؤهم في الملاجئ، والتفكك الأسري، والأعداد الغفيرة لأبناء اللُّقطة، ونسبة الجريمة وحالات الاغتصاب. فالمعاملة المتطورة عند المجتمعات غير المسلمة هي في حدود ما يضمن حصول الدولار، أما المسلمين فليست أهدافهم مادية، بل القيَم والمبادئ الإسلامية هي التي توجههم.

تمت الإجابة على سؤال الخوري حنا.

***

وبعد اطِّلاع الخوري حنا على الإجابة الماضية أردَفَ بسؤال علمي آخر فقال:
سألت نفسي سؤالا: هل يُعذب الرب المسلمين بكل هذه الابتلاءات التي تصيب المسلمين في أيامنا هذه لتكون كفارة لهم من الذنوب؟
هل الرب يقسو عليهم لهذه الدرجة ليغفر لهم الذنوب؟
ولماذا لا يغفر لهم الذنوب من خلال العبادة له من دون هذه الابتلاءات كلها؟

والجواب:

الابتلاءات – وفقك الله للحق – تحصل للناس كلهم من آدم إلى آخر شخص يعيش إلى يوم القيامة، وقد حصلت الابتلاءات للأنبياء كلهم، كما قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين﴾.
فموسى (عليه السلام) تعرض للابتلاء من فرعون فصبر فنجاه الله منهم وأغرق فرعون ومن معه.
والمسيح (عليه السلام) تعرض للابتلاء من اليهود، فصبر، فكانت عاقبة صبره أن الله نجاه منهم ورفعه إليه في السماء.
ومحمد (صلى الله عليه وسلم) تعرض للابتلاء من اليهود أيضا ومن غيرهم.
ومع هذا لا أحد يقول إن هذا دليل على غضب الرب عليهم.
والنبي محمدٌ (صلى الله عليه وسلم) قد دخل عليه رجل من أصحابه وهو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال:

دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُوعَكُ[1]، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا.

قَالَ: أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ.

قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟

قَالَ: أَجَلْ، ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا.[2]

فتعاليم الدين الإسلامي توضّح الغاية من ابتلاء الله لبعض عباده بالمصائب، وهي لحكمتين عظيمتين:

الأولى: أن تكون مُكفِّرات لذنوب ارتكبها الشخص الذي وقعت عليه المصيبة.

الثانية: أن تكون هذه المصائب والصبر عليها سبب لرِفعة العبد عند ربه في درجاته، لأن الإنسان إذا ابتلاه الرب فصبر على ما قدره الله عليه فإن هذا سبب لحصول الحسنات ورفعة الدرجات في الجنة.

ولهذا قال الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم): عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ؛ إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيرا له.[3]

والمصائب موجودة في كل بلد، وتحل على أتباع كل ديانة، فالحرائق والانهيارات المالية تحصل في أنحاء العالم على اختلاف الشعوب والأديان، فالذين يعبدون الله تحصل لهم المصائب، والذين يعبدون غيره تحصل لهم أيضا، وليس للإنسان راحة تامة إلا إذا دخل الجنة، فهناك الراحة التامة، لا مرض ولا موت، أسأل الله أن يوفقنا لدخولها.

والحاصل أن الإنسان إذا أصابته مصيبة فهذا ليس دليلا على غضب الرب عليه، فإن الأنبياء أصابتهم مصائب مع أنهم صفوة الخلق وخِيرتهم، فإذا تعرض الإنسان للابتلاء من الله وصبر كان له ثواباً، أما إذا اعترض على الابتلاء وفعل كما يفعل بعض الناس الذين يسبون الرب إذا حصل لهم بلاء، فإنهم بهذا يحصل لهم الإثم العظيم والعقاب.

***

انتهت الإجابة على السؤالين، نفع الله بها، آمين.

ماجد بن سليمان

majed.alrassi@gmail.com

---

[1] الوَعَكُ هو الحُمَّى.

[2] رواه البخاري (٥٦٤٨).

[3] رواه مسلم (٢٩٩٩) عن صهيب رضي الله عنه.

هاتف: 00966505906761

مراجع علمية لمن أراد الاستزادة والفائدة – وهي منشورة في موقع «الدين الواضح»

www.saaid.net/The-clear-religion

١. الكتاب المقدس – القرآن

٢. تعريف موجز بالكتاب المقدس – القرآن

٣. لماذا خلقنا الله؟

٤. قصة أبينا آدم في القرآن

٥. قصة المسيح من المهد إلى اللحد

٦. قصة رفع النبي العظيم المسيح عيسى ابن مريم إلى السماء وتَـنجِـيته من الأذى

٧. هل المسيح رب؟ – «ثلاثون وقفة علمية ومنطقية، للمثقفين والمثقفات فقط»

٨. أربعون دليلا على بطلان عقيدة توارث الخطيئة وصلب المسيح – «أربعون وقفة علمية ومنطقية، للمثقفين والمثقفات فقط»

٩. التغييرات والتطورات التدريجية التي حدثت لرسالة يسوع بعد رفعه على مدى عدة قرون

١٠. الدلائل على تحريف دين اليسوع بعد رفعه إلى السماء

١١. مهلا أيتها الدكتورة .... لا تسبي الإسلام

١٢. حوار علمي هادئ مع القساوسة

١٣. موقف الإسلام من الإرهاب

١٤. Who Deserves to be Worshipped

١٥. The Amazing Prophecies of Muhammad in the Bible

***